السؤال أنماطه وخصائصه في الخطاب المكي

د.هادي شندوخ حميد
جامعة ذي قار - كلية الآداب
قسم اللغة العربية
thiqaruni.org

المقـدمة

السؤال هو مفتاح الوجود ،به تبدأ حركة الحياة ومنه تتشكل للإنسان قيمته، وبه ينطلق العقل مثيرا ومجادلا الرؤى الحاكمة على الكون والحياة والتأريخ والإنسان ، حتى تتوالد المعرفة ويتناسل الفكر من دون توقف أو جمود .

لم يستوعب التراث قضية كالسؤال ، فهو المحرك لبنية العقل وجدلياته في الفلسفة واللغة والتأريخ وغيرها من المجالات ،وكل مايحيط به أو ماهو بصدده من بناء معرفي في طريق الفكر ورحابه . فالفيلسوف وقف منبهرا ومتأملا في أسرار هذا الوجود متى بدأ وكيف تكون والى أين المنتهى، واللغوي أحكم قواعده وأرسى بناءه المتين عن طريق السؤال والجدل الملحَّين ،لفصحاء البادية تارة ،أو بين اللغويين أنفسهم تارة أخرى ، إلى الحد الذي انبثقت اجتهادات وتكونت مدارس لها وجهتها في النظر والفصل في أكثر القضايا تعقيدا .

وعالم النفس أخذ يبحث عن حيرة الإنسان وقلقه عما يعتريه من الغموض والإبهام في حياته ،بدءا من السلوك الملاحظ لدى الأطفال ، واندفاعهم في إطلاق تساؤلاتهم عما يرونه أو يسمعونه أو يحسونه ، بل أكثر من ذلك تراهم يسألون عن المبدع لهذا الكون ، ومن هو صاحبه ؟ وأين هو؟ وماشكله ؟ وغير ذلك من التساؤلات التي استوقفت المختصين وشغلتهم بإيجاد أجابات مقنعة عنها .

إذن لم يكن السؤال وليدا عن فراغ ، بل إنَّ قدرة الله سبحانه في إبداع هذا الكون وإتقانه كفيلة بتثوير العقل البشري وتحريكه لإماطة اللثام عن أسرار هذا الوجود وبيان الحكمة فيه . فضلا عن ذلك فإنَّ إثارة السؤال لجديرة برسم حدود الفكر البشري وتعيين مراتب الوعي فيها ، من خلال

مواطن السؤال التي يصب العقل فيها حيرته وقلقه.

هذه وغيرها دفعت البحث إلى استنطاق سياحة السؤال في القرآن الكريم ،بما صوره على لسان مخاطبيه في قلقهم المعرفي إزاء الوجود بأسره ، أو في تعنتهم وميلهم للسجال من خلال السؤال عما لاتدركه العقول البشرية أو تحيط به علما .

وحصرا سيكون البيان على السؤال في الخطاب المكي ، لما في ذلك الخطاب من بنية تأسيسية تفصح عن مرجعية العقل الإسلامي في تلك المرحلة وحمولتها بمعتقدات خاوية وأفكار بالية ، لم ترق إلى ماجيْءَ به من تعاليم سماوية ، ترسم للإنسان مسيرته ، ومنتهاه ، وحسابه ،في اليوم الآخر. أو تصحح له مساراته الإعتقادية أو الإنسانية في الحياة الدنيا من زاوية أخرى . بخطة تنتظم من مبحثين ، الأول : أنماط السؤال في الخطاب المكي ، ويقوم على إستظهار الأسئلة التي كانت محط فكرهم وحيرتهم ، عن طريق مادة (سأل) أو عن طريق الأدوات التي تتضمن الاستفهام والتساؤل . والثاني : ينحصر في بيان خصائص السؤال المكي ، ومزاياه الأسلوبية البارزة في التعبير القرآني ، يلي ذلك خاتمة بنتائج البحث ، ومن ثم قائمة بمصادر البحث ومراجعه .

السؤال لغة واصطلاحا : السؤال هو استعلام عن أمر مجهول ، قال بعضهم : ((هو سآل وسؤول وسؤلة. وقوم سألة وسوّال. وسألته عن كذا سؤالاً ومسألة، وساءلته عنه مساءلة، وتساءلوا عنه، وسألته حاجة. وأصبت منه سؤلي: طلبتي..ومن

المجاز: هو سألتي من الدنيا. واللهم أعطنا سألاتنا.))(١) وأضاف الراغب في مفرداته أن السؤال: ((هو استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة، واستدعاء مال، أو ما يؤدي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة، أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها إما بوعد، أو برد. إن قيل: كيف يصح أن يقال السؤال يكون للمعرفة، ومعلوم أن الله تعالى: يسأل عباده نحو: {وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم} [المائدة/١١٦] ؟ قيل: إن ذلك سؤال لتعريف القوم، وتبكيتهم لا لتعريف الله تعالى، فإنه علام الغيوب، فليس يخرج عن كونه سؤالا عن المعرفة، والسؤال للمعرفة يكون تارة للاستعلام، وتارة للتبكيت، كقوله تعالى: {وإذا الموءودة سئلت} [التكوير/٨]، ولتعرف المسؤول.)) (٢) وتارة يعني طلب الأدنى من الأعلى.(٣) . وعليه فمجمل تلك الأقوال يظهر لنا أن مدارات السؤال تختزل في طلب المعرفة أو البحث عما خفي عن الذهن تصورا أو إدراكا ، يكون اللسان في ذلك المسلك مجيبا عن الإضمار الذي اختمر في العقل وتجلى بشكل سؤال أو إبهام يراد معرفته وإدراكه . وتارة يكون السؤال مظهرا لإستعطاف مشاعر الناس واسترقاق قلوبهم ، وصولا إلى المبتغى ، كنيل مال أو إحراز عون أو غير ذلك ،وهو مايتحقق أو ينجز عن طريق اليد بسطا ، وأخرى يكون السؤال فيها منطلقا للتعبير عن ضعف الإنسان وتصاغره أمام خالقه حين الاستنجاد بطلب عافية أو دفع مكروه ، أو تحقيق مأرب ما. ولا يبتعد أن يكون السؤال إيضاحا للآخر ،بهدف الكشف والإعلام عما ألبس فهمه على الطالب أو الباحث عن حقيقة ما ، كما هي الحال في التعبير القرآني وأثارته لكثير من التساؤلات المنطوية على القصد والدلالة ، غايتها التعريف والبيان بما تحمل من العظة والعبرة المقومة للعقل والروح في الإنسان .

ويوميء السؤال في بعض الأحيان إلى مرض في النفس ، حيث يكون الهدف هو اللجاج والجدل والتعنت في قبول الرأي أو الجواب ، وليس البصيرة في التفكر عما يطرح في الجواب، إذ إن هناك فرقا كبيرا بين من يسأل ليعلم ويعمل ، وبين من يسأل ليتعاظم بالصلف والوقاحة.. ذاك ينشد طريق الحقيقة، و هذا ينحرف عنه إلى التيه والتخبط . من ذلك ماروي عن الإمام علي (ع) ، حينما سأله ابن الكوا : ((اخبرني عن بصير بالليل بصير بالنهار،و عن بصير بالنهار أعمى بالليل ،وعن بصير بالليل أعمى بالنّهار ؟فقال عليه السلام له :سلّ عمّا يعنيك و دع ما لا يعنيك أما بصير بالليل بصير بالنهار فهذا رجل آمن بالرسل الذين مضوا ، و أدرك النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم فآمن به فأبصر في ليله و نهاره ، و أما أعمى بالليل بصير بالنهار ، فرجل جحد الأنبياء الذين مضوا و الكتب و أدرك النبي فآمن به فعمى بالليل و أبصر بالنّهار،و أما أعمى بالنّهار بصير بالليل فرجل آمن بالأنبياء وجحد النبي فأبصر.مجملا ذلك بحكمته الشهيرة((سَلْ تَفَقُّهاً وَ لاَ تَسْأَلْ تَعَنُّتاً فَإِنَّ اَلْجَاهِلَ اَلْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ وَ إِنَّ اَلْعَالِمَ اَلْمُتَعَسِّفَ شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ اَلْمُتَعَنِّتِ)) (٤) فسل تفقها أي تفهما ، و لا تسأل تعنّتا ، أي : بإيقاع المسؤول في المشقّة و الزلّة (٥) . وقد يلبس على السامع أو القارئ تداخل بين السؤال والاستفهام والإستفتاء ، فقد تستعمل هذه المفاهيم لمعرفة حقيقة ما ،أو طلب مجهول من الأمر. إلا أن هذا لايعني أن تكون هناك فروقٌ دقيقة بينها . فالسؤال كما هو معروف : ((هو طلب معرفة المجهول ليعرف ،أو طلب معرفة ماوقع فيه الشك والتردد بين وجوه مختلفة ليتعين الوجه المطلوب.)) (٦) ، أما الإستفتاء فهو من الفتيا يقال: أفتني الرجل في المسألة واستفتيته فأفتاني إفتاءً، وفُتيا وفتوى اسمان من أفتى توضعان موضع الإفتاء. ،ويقال: أفتيت فلانا في رؤيا رآها، إذا عبرتها له، وأفتيته في مسألته إذا أجبته عنها.وفي الحديث أن قوما تفاتوا إليه، معناه تحاكموا...وأصل الإفتاء والفُتيا تبيين المشكل من الأحكام، أصله من الفتيِّ، وهو الشاب الحدث الذي شب وقوي فكأنه يُقوِّي ما أشكل ببيانه، فيشب ويصير فتيا قوياً وأفتى المفتي، إذا أحدث حكما.(٧)

فهناك إذن خصوص في الإستفتاء ،القائم به يستجلي مشكلا يراد بيانه ومعرفته ، يقابله إطلاق في السؤال ،من دون أن يكون هناك عارض أو دافع يحرك السائل نحوه ، فعادة يكون السؤال ملازما للإنسان ، إذ يصدر السؤال في بعض الأحيان من دون أن يكون هناك ما هو مشكل.

أما الاستفهام فهو استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن(٨) ويقال استفهم من فلان عن الأمر طلب

منه أن يكشف عنه (٩) . وهو معنى ليس في دائرة العموم التي يقع فيها السؤال .

المبحث الأول : أنماط السؤال في الخطاب المكي :

أطال العلماء كثيرا في حديثهم عن المكي والمدني ، بأشكال مختلفة تقوم على رصد الفروق اللفظية والمعنوية ،وطبيعة التفكير العقلي ومنظومة الفعل الاجتماعي وحتى النظام السياسي وآليات عمله .(١٠) ، يهمنا هنا هو أنواع السؤال التي كانت موضع حيرتهم ومثار جدلهم إبان قيام الدعوة الإسلامية بمجيء الرسالة النبوية سواء أكان السؤال بالمادة أم بالحرف أو الأداة. وأهمها:

ـ التساؤل عن الخالق : من جملة ماكان يختلج في أذهان العرب آنذاك حيرتهم في الله وفي كيفية تدبيره لهذا الكون ، على الرغم من الإقرار في نفوسهم بأن الله سبحانه هو المبدع والمهيمن على الكون كله ، من ذلك قوله تعالى : ((وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السماوات والأرض وَسَخَّرَ الشمس والقمر لَيَقُولُنَّ الله فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ،اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)) (العنكبوت :٦١،٦٣)، فالآيات هنا تتضمن سؤالين أحدهما يتحدث عن الخلق والثاني عن الرزق ،ولكن بطريقة حكى فيها القرآن حالهم على وجه العجب من تناقض أقوالهم مع أفعالهم ،((أي هم كفروا بالله وإن سألهم سائل عمن خلق السماوات والأرض يعترفوا بأن الله هو خالق ذلك ولا يثبتون لأصنامهم شيئاً من الخلق فكيف يلتقي هذا مع ادعائهم الإلهية لأصنامهم . ولذلك قال الله (فأنى يؤفكون) أي كيف يصرفون عن توحيد الله وعن إبطال إشراكهم به مالا يخلق شيئاً .وهذا الإلزام مبني على أنهم لا يستطيعون إذا سئلوا إلا الاعتراف لأنه كذلك في الواقع ولأن القرآن يتلى عليهم كلهما نزل منه شيء يتعلق بهم ويتلوه المسلمون على مسامعهم فلو استطاعوا إنكار ما نُسب إليهم لصدعوا به)) .(١١)

وهناك دلالة أخرى ترد في علة ذلك التساؤل هي أنه ((لم يصدر من الجاهل وإنما يصدر من الله سبحانه وتعالى على سبيل التعليم وعلى سبيل الفرضيات التي يعلمها رسوله الكريم ليخاطب بها المشركين))(١٢)،ولعل هذا فيه دلالة إرشادية تبغي تصحيح المسار المنحرف في النظر إلى الخالق والرازق عن طريق توجيه الجواب وحصره بالله تبارك وتعالى((لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)). فضلا عن أن التحدي بذلك السؤال هو بمثابة إيقاظ وهزة للإنسان الذي يعيش أسباب الغفلة في داخله ((ولهذا فإنه ينتبه إلى ذلك عندما يتحداه السؤال بما يشبه الصدمة التي تهز فيه كل عناصر القوة الإيمانية في شخصيته المسلمة ، فيجيب عن السؤال المتعلق بكل أحداث الكون التي يتحرك الرزق من خلالها ،بأن الله هو الذي يقف خلفها ويشرف عليها ، ليكون الإيمان به هو الأساس في كل حركة وموقع))(١٣). ولاغرو أن يتكرر ذلك السؤال بتلك الطريقة ،وتلك الإجابة التي تشد الإنسان إلى خالقه ، في آيات عديدة كقوله تعالى : ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) (لقمان :٢٥) وقوله تعالى : ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ)) (الزمر:٣٨) .

وقوله تعالى : ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) ((الزخرف: ٩)) ، ويتكرر في السورة نفسها ، قوله تعالى : ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)) (الزخرف:٨٧) ، فكل هذا التكرار ذي الدلالات القصدية الكامنة في التباين التعبيري بين نص وآخر تدل على أن تلقين هذا النمط من الاسئلة إزاء الخالق يستهدف ترسيخ التوحيد والإيمان العقيدي برب هذا الكون((فالتوحيد هو الدعامة الرئيسة للإيمان وإنطلاقة الأعمال الصالحة إذ يستبطن رضى الرحمن وطرد الشيطان)) (١٤) .

ـ التساؤل عن يوم القيامة : عني القرآن الكريم كثيرا بمشاهد القيامة وذكر تفصيلاتها حيث الحدث الأكبر من الحساب والجزاء، لما في ذلك من قصد تعبيري يكمن في إرادة تثبيت تلك الحقيقة في أذهان الناس ، فضلا عن أن العقيدة الإسلامية تقوم

على الإيمان بالبعث حيث المصير الذي ينتظر كل إنسان بل كل المخلوقات ،يقول سيد قطب : ((ولا يكاد يخلو مشهد واحد من إشراك الأحياء فيه وقلما تنفرد الطبيعة بالهول ،إلا أن يدب فيها نوع من الحياة ولكن مرة تكون الشخوص البارزة في المشهد هي إفراد الطبيعة جميعا، ومرة تكون النفوس الآدمية الواعية أو المخلوقات الحيوانية المتنوعة ومرة يكون المسرح مشتركا بين هؤلاء وهؤلاء))(١٥) ،وتارة يتخصص الوصف بالوقوف على مشاهد العذاب وأهوال الحساب ، أو ذكر نعيم الجنة ومافيها من ثواب أعدّ للمحسنين . ويبدو أن هذه المفاهيم لم تجد مستقرها في العقل الإنساني ، خلال الحقبة المكية ،كونها جديدة التصور وبعيدة التآلف عن معتقدهم الذي ألفوه مدة زمنية طويلة . لذا لم يكن أمامهم في التعبير عن تلك الحيرة إلا التساؤل والدهشة عما كان ينزل عليهم من آيات الله . من ذلك قوله تعالى :((عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ،عَنِ النبأ الْعَظِيمِ ،الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ))(النبأ :١، ٢،٣) ،فهنا إستفهام وتساؤل عن أمر عظيم يتعلق بيوم القيامة ، أطلق عليه النبأ ، والنبأ كما يقول بعض اللغويين هو مرادفٌ لَلَفْظِ الخبر (١٦) ، وهو مخالف لحقيقته فالراغب يرى فيه فرقا عن الخبر : «فالنبأ الخبر ذو الفائدة العظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ويكون صادقاً» (١٧) . وهذا ماستحسنه بعض المفسرين بقوله هو : ((فرق حسن ولا أحسب البلغاء جَروا إلاّ على نحو ما قال الراغب فلا يقال للخبر عن الأمور المعتادة : نبأ وذلك ما تدل عليه موارد استعمال لفظ النبأ في كلام البلغاء ، وأحسب أن الذين أطلقوا مرادفة النبأ للخبر راعَوا ما يقع في بعض كلام الناس من تسامح بإطلاق النبأ بمعنى مطلق الخبر لضرب من التأويل أو المجاز المرسل بالإطلاق والتقييد ، فكثر ذلك في الكلام كثرة عسر معها تحديد مواقع الكلمتين ولكنْ أبلغُ الكلام لا يليق تخريجه إلا على أدق مواقع الاستعمال))(١٨).

ووصف النبأ بالعظيم هنا زيادة في التنويه به لأن كونه وارداً من عالِم الغيب زاده عظمَ أوصاف وأهوال ، فوصف النبأ بالعظيم على أن ما وُصف فيه من أحوال البعث في ما نزل من آيات القرآن قبلَ هذا .(١٩) . فهذه قرائن دلالية تستلزم عظيم السؤال عن تلك الحقيقة التي تحيروا فيها ، أو استهزؤا فيها،أو تحدثوا فيها ،قال أبو حيان : ((التساؤل هو أن يسأل بعضهم بعضاً كالتقابل ، وقد يستعمل أيضاً في أن يتحدّثوا به ، وإن لم يكن بينهم سؤال ، كقوله تعالى : ((فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ)) (الطور:٢٥) (٢٠)، ولا أعتقد أن المعنى هنا ينصرف إلى الحديث المعتاد على وجه البحث عن حقيقة النبأ، لما يلي تلك الآيات من تهديد ووعيد انصرف اليهم ،((كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)) (النبأ :٤، ٥) ، بل كانوا ((يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه إنكاراً واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذي هو حال من أحواله ووصف من أوصافه)) (٢١) ، وعليه فإن هذا الجدل كان على وجه الإنكار منهم ، فساقه القرآن على وجه التعجب والغرابة من إثارته يقول المفسرون: ((فلم يكن السؤال بقصد معرفة الجواب منهم . إنما كان للتعجيب من حالهم وتوجيه النظر إلى غرابة تساؤلهم ، بكشف الأمر الذي يتساءلون عنه وبيان حقيقته))(٢٢) ، ومن اللطيف في التعبير القرآني هنا أنه أستغرق في الإجابة عن تساؤلهم على طول السورة ، تأكيدا لفخامة المسؤول عنه وتعظيما له . وزيادة في الإقناع والتثبيت ،((فالسؤال عن النبأ العظيم تطلب إجابة طويلة ومفصلة استغرقت سورة النبأ كلها ،بدأها بتوجيه الانتباه نحو الظواهر الحسية المشاهدة بالبصر لتكون وسيلة لتقريب الفهم للوقائع الغيبية التي فصل الحديث فيها وبين كيف سيكون يوم الفصل ..ثم بين مشهد العذاب بكل مواصفاته وأعقبه بمشهد النعيم بكل مواصفاته))(٢٣) . بل لم يقف الأمر عند حد السورة وحدها ، بل أنه مطلع لتأسيس سور وآيات كثيرة تلته تحدثت عن ذلك المطلب الذي يستوحيه الإنسان في حياته ليبصر مابعدها .

فما ذكر بعد النبأ ((يدل على مشاهد القيامة العنيفة الطامة الصاخة القارعة الغاشية . ومشاهد الحساب والجزاء من نعيم وعذاب في صور تقرع وتذهل وتزلزل كمشاهد القيامة الكونية في ضخامتها وهولها . . واتخاذها جميعاً دلائل على الخلق والتدبير والنشأة الأخرى وموازينها الحاسمة . مع التقريع بها والتخويف والتحذير . . وأحياناً تصاحبها صور من مصارع الغابرين من المكذبين . والأمثلة على هذا هي الجزء كله))(٢٤). وقد يرد السؤال عن زمن وقوع يوم القيامة ، لما للزمن من أهمية قصوى في الفكر

البشري ((فلقد أدرك الإنسان أنه لاوجود إلا بالزمان ، أو قل إن الوجود والزمان مترادفان ،لان الوجود هو الحياة والحياة هي التغير ،والتغير هو الحركة ،والحركة هي الزمان ،فلا وجود إذن إلا بالزمان)) (٢٥) ،والإنسان بطبعه محب للحياة ميال إلى الخلود فيها ،فكيف والحال ذلك أن يستوعب قضاء عمره وإنذاره بأجل غير معلوم لديه، كما يشير القرآن الكريم إلى ذلك ، من الطبيعي إذن أن يتساءل عن وقت ذلك الحدث الرهيب ومكانه وكيفيته وكل تفاصيله الأخرى . مثال ذلك قوله تعالى : ((يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ)) (القيامة :٦).وقوله تعالى : ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا)) (النازعات :٤٢).وقوله تعالى : ((يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ)) (الذاريات :١٢) . فالملاحظ هو تكثيف السؤال عن الزمن أي موعد الوقوع من دون الاهتمام بالأسباب والعواقب الناتجة . يقول المفسرون : ((المعنى أنهم يسألون تعيين وقت معروف مضبوط بعدِّ السنين ونحوها ، أو بما يتعين به عند السائلين من حدَث يحل معه هذا اليوم . فهو طلب تعيين أمد لحلول يوم يَقُوم فيه الناس .)) (٢٦) ويبدو أن هذا الإلحاح على تعيين يوم القيامة نابع من ثقافة جبلوا عليها ،فشغفهم بالأيام واندفاعهم لمعرفتها إلى الحد الذي يسمى فيه التأريخ عندهم بالأيام ، وما يجري فيها من حوادث كبيرة ،تكون مستودعا للمفاخر والبطولات دفعتهم إلى تلك الوجهة من التساؤل . يقول الرازي : ((أنه يعبر بالأيام عن الوقائع العظيمة التي وقعت فيها)) (٢٧) . ومن ثم لم يكن القرآن مجيبا على تساؤلاتهم ،لعبرة مفادها الاهتمام بطبيعة يوم القيامة وحقيقته والشعور بهوله وضخامته هو الأولى في السؤال ، ومن ثم الاستعداد له .

لذلك نرى القرآن الكريم أجابهم بالعدول عن((تعيين وقت ليوم القيامة إلى أن يهدَّدوا بأهواله ؛ لأنهم لم يَكونوا جادِّين في سؤالهم فكان من مقتضى حالهم أن يُنذروا بما يقع من الأهوال عند حلول هذا اليوم مع تضمين تحقيق وقوعه ، فإن كلام القرآن إرشاد وهدْي ما يترك فُرصَة للهدي والإرشاد إلاّ انتهزها ، وهذا تهديد في ابتدائه جاء في صورة التعيين لوقت يوم القيامة إيهاماً بالجواب عن سؤالهم كأنه حملٌ لكلامهم على خلاف الاستهزاء على طريقة الأسلوب الحكيم . وفيه تعريض بالتوبيخ على أن فرطوا في التوقي من ذلك اليوم واشتغلوا بالسؤال عن وقته ، فقال سبحانه عقيب ذلك: ((إِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ، وَخَسَفَ الْقَمَرُ ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ، كَلَّا لَا وَزَرَ ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ، يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ))(القيامة :٧، ١٣،)(٢٨) ومن ثم فالموضوع واحد هو القيامة ، ولكن زاوية الطرح تختلف من سائل لآخر فمنهم من يسأل عنها بوصفها حدثا عظيما لم يضع له من قبل حسابا ، وبعضهم يبحث عن زمن حدوثه ،ومتى يقع الحساب ،وبعضهم يتساءل عن العذاب ،الذي سيحل بالكافرين الذين لم يصدقوا بهذا الحدث (٢٩).

ـ السؤال عن البعث ب(من) ومتى : ويرد السؤال بهما في مواضع متنوعة ، منها مايتعلق بالعقيدة ،أو الأحكام ،أو التاريخ ، أو عن المبدأ والمآل والمصير ،أو غير ذلك ،الأمر الذي ينبئ عن إتساع المساحة الفكرية التي يتعاطى فيها الإنسان مع هذه الحقائق ، باحثا عن الحقيقة أو متعنتا في قبولها . من خلال السؤال بهما ، من ذلك قوله تعالى : ((وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ، قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ، أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا))(الإسراء :٤٩ ، ٥١) ، فالسؤال الأول القائم على الاعتراض ، هو (من يعيدنا)، أي عدم الاقتناع أو الشك في البعث ، والثاني هو وقت وقوع ذلك اليوم.

قال الرازي : ((والمعنى أنه لما قال لهم : كونوا حجارة أو حديداً أو شيئاً أبعد في قبول الحياة من هذين الشيئين فإن إعادة الحياة إليه ممكنة فعند ذلك قالوا : من هذا الذي يقدر على إعادة الحياة إليه، قال تعالى قل يا محمد :الذي فطركم أول مرة))(٣٠) أما قولهم متى فهو على سبيل الاستهزاء والسخرية والتكذيب ،أي متى هو ذلك اليوم الذي سنعود فيه إلى الحياة بعد أن نصير عظاما ورفاتا،((فالجملة الكريمة تصور تصويرا بليغا ما جبلوا عليه من تكذيب بيوم القيامة ومن استهزاء بمن يذكرهم بأحوال ذلك اليوم العصيب . ومن استبعاد لحصوله كما قال تعالى:حكاية عنهم في آية أخرى :((وَيَقُولُونَ متى هذا الوعد إن كُنتُمْ صَادِقِينَ))(يس:٤٨)وقوله تعالى(قُلْ عسى أَن

يَكُونَ قَرِيباً) تذييل قصد به التهديد والوعيد لهم ،أي :قل لهم - أيها الرسول الكريم - على سبيل التأنيب والوعيد : عسى هذا اليوم الذى تستبعدون حصوله ، يكون قريبا جدا وقوعه .ولا شك في أنه قريب ، لأن عسى في كلام الله تعالى لما هو محقق الوقوع ،وكل ما هو محقق الوقوع فهو قريب))(٣١). إذن السؤال هنا لم يختزن البحث عن المعرفة ، وإنما ورد من أجل اللجاج والمجادلة في حقائق لاتحتاج إلى ذلك الإنكار والمماطلة .

ـ السؤال عن الهداية، بالحرف: (هل) : هل حرف إستخبار، أما على سبيل الاستفهام ، وذلك لايكون من الله عز وجل .. وإما على التقرير تنبيها أو تبكيتا أو نفيا (٣٢) ، ورد في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ،مستثيرا مسائل متنوعة في الخطاب القرآني ،ومشكلا نوعا من الإثارة الجدلية القادرة على خلق حركية فاعلة في النفس ،قال تعالى : ((اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى))(النازعات:١٧، ١٨) فهل هنا تستبطن سؤالا متضمنا نوعا من الاستفزاز الهادىء للمخاطب ، لما هو عليه من إنحراف في المعتقد والرؤيا، وتفسح المجال لحوار فكري رحيب يتسع فيه الخطاب حتى مع أشد المنكرين لقضايا العقيدة ،يقول الرازي :((وهذه الكلمة جامعة لكل ما يدعوه إليه ، لأن المراد هل لك إلى أن تفعل ما تصير به زاكياً عن كل مالا ينبغي ، وذلك بجمع كل ما يتصل بالتوحيد والشرائع))(٣٣) . والزكاة المرادة هنا ، هو التطهر من القذارات الفكرية والروحية والعملية التي علقت بكيان المخاطب كله ، فأصبح فكره يحمل قذارة الكفر ، وتلوثت روحه بقذارة التكبر والتجبر ، وأحاطت بعمله أقذار الظلم والطغيان (٣٤) ، وهي معان حاضنتها أداة التعبير الاستفهامية (هل) ، فمن خلالها تم الانفتاح على ذلك الطلب من التطهر والتزكية .

وفي نص مكي آخر يرد السؤال بهل حاملا فكرا عميقا مؤسسا لمعادلة ذات صراع بين ثقافتين ، قال تعالى : ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ، قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ، قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ، أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ، قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ)) (الشعراء : ٦٩ ، ٧٤). إذ بدأ إبراهيم (ع) حواره مع أبيه ومن ثم مع قومه ، بطريقة الاستفهام، ليثير في نفوسهم الدهشة والغرابة في أفعالهم ، ويحرز إجابة منهم عما هم عليه من العقلية الصنمية المتمسكة بإرث الآباء ، من خلال السؤال تارة ب(ما) الاستفهامية وأخرى ب(هل)، ((فإبراهيم (ع) ناقش المسألة معهم بالطريقة التي تفصح جهلهم وتخلفهم في فهم الخط التوحيدي ... لذلك بدأ السؤال بطريقة ساذجة تثير علامات الاستفهام في الموقع الذي يملك فيه الجواب البسيط عن كل الأسئلة .. فضلا عن انه أراد أن يوضح اختزانهم للإرث المقدس من العقائد والشرائع والتقاليد والأوضاع البعيدة عن الحقيقة والصواب))(٣٥) .

المبحث الثاني : خصائص السؤال في الخطاب المكي :

الحديث عن خصائص القرآن الكريم التعبيرية لايحتاج إلى بيان ،فمن المعلوم أنه أستعمل الألفاظ ودلالاتها بطريقة فاقت استعمال العرب لها ، فضلا عن الطابع الديني ،الذي استوجب التعبير بلغة خاصة وأسلوب دقيق ((حسب لكل حرف فيه حسابه))(٣٦) ،لذا فإنّ الوقوف على السمات التعبيرية في السؤال الوارد على لسان أهل مكة ، له دلالاته التي تشير إلى قصدية الخطاب في إتخاذ هذا الأسلوب دون غيره . ومن أولى تلك الخصائص :

ـ الإضمار : هو إسقاط الشيء لفظاً لا معنى، وترك الشيء مع بقاء أثره،(٣٧) ،عُدَّ سنةمن سنن العرب إيثاراً للتخفيف وثقة بفهم المخاطب (٣٨) . فقلما يخلو كلام منه ، يستعمله المتكلم لدلالات قد تخرج عن التخفيف ، أو معرفة السامع بها .

وظف هذا الأسلوب بشكل مقصود في السؤال القرآني (المكي) ، إشارة إلى دلالات معينة ، مثال ذلك قوله تعالى :((عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ،عَنِ النبأ الْعَظِيمِ ،الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ))(النبأ :١، ٢، ٣) ، فعدم التصريح بالسائل والإكتفاء بإشارة (الواو) عليه ، ينم عن ملحظ دلالي مراد ، يقول الآلوسي : ((والاستفهام للإيذان بفخامة شأن المسؤول عنه وهوله وخروجه عن حدود الأجناس المعهودة أي عن أي شيء عظيم الشأن { يَتَسَاءلُونَ } الضمير لأهل مكة وأن لم يسبق ذكرهم للاستغناء عنه بحضورهم حساً مع ما في الترك على ما قيل من التحقير والإهانة لإشعاره بأن ذكرهم مما يصان

عنه ساحة الذكر الحكيم)) (٣٩) ،فالإضمار والترك إذن فيه دلالة التحقير والإهانة ،لماهم عليه من ضلال وبعد عن الله سبحانه .
وفي نص آخر تتجلى دلالة الإضمار المرافقة للسؤال ، قال تعالى : ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ))(العنكبوت: ٦١)* فلم يصرح بذكرهم تقليلا لشأنهم وتسخيفا لترددهم واستهزاءهم بما جاء به النبي (ص) ، فضلا عن أن حذف الفعل خلقهن في (ليقولن الله) جاء قصدا إلى إبانة الفاعل (لفظ الجلالة)وإقرار قدرته في الخلق عندهم، يقول القرطبي : ((انه تعالى خص خلقه لهم من بين صفاته في أكثر من آية *لإن العرب كانت مقرة بأن الله خالقها)) (٤٠) .

ـ التكرار : هو عبارة عن الإتيان بشيء مرةً بعد أخرى (٤١) ،يستعمل في الكلام البليغ من أجل أغراض دلالية مقصودة ، ولعل التوظيف القرآني لهذا الملمح دفع بعض العلماء إلى جعله وجها من وجوه الإعجاز فيه. قال بعض الباحثين :((هو وجه من وجوه البلاغة والإعجاز ، مانطق به أحد قبل القرآن الكريم فوجد فيه تلك الطلاوة والحلاوة التي تكتنف النص القرآني في أثناء التكرار)) (٤٢) ،مثل هذا المظهر حضورا مكثفا في السؤال القرآني المكي ،ولاسيما في سؤالهم عن يوم الساعة، فقد حكي عنهم هذا السؤال في مواضع من القرآن ، قال تعالى : ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ)) (الأعراف : ١٨٧) ،وقوله : ((يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا)) (الأحزاب :٦٣) ، وقوله تعالى أيضا : ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا)) (النازعات :٤٢) .
فالمتعنتون من المشركين يسألون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كلما سمعوا وصف أهوال الساعة وأحداثها وما تنتهي إليه من حساب وجزاء . . متى أو أيان موعدها ، ((تعجيزاً له ، لتوهمهم أنه لما أخبرهم بأمرها فهو يدعي العلم بوقتها ((ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعةً ولا تستقدمون)) [سبأ : ٢٩ ، ٣٠] . (٤٣) ، ومن ثم فإن التكرار في إلحاحهم على هذا المطلب يمثل حالة درجوا عليها من الاستهزاء والسخرية والاستخفاف كونهم ((عقدوا قلوبهم على استحالة وقوع الساعة وربما طلبوا التعجيل بوقوعها وأوهموا أنفسهم وأشياعهم أن تأخر وقوعها دليل على اليأس منها)) (٤٤) .

ـ العدول :هو أحد الأشكال الأسلوبية التي يتنوع فيها الكلام،لأغراض دلالية يبتغيها المنشيء في تعبيره،عرفه القدماء،وقالوا هو الميل أو تغيير الإتجاه أو التسوية (٤٥) وتوسع فيه المحدثون تعريفا وتفصيلا،إذ عرفه بعضهم بأنه : ((ظاهرة إسلوبية تعتمد على إنتهاك النسق المعتاد))(٤٦) أي الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية ،وُظف في القرآن الكريم بصور متعددة ،حسبما يقتضيه المقام والمقصد. والسؤال الوارد في القرآن الكريم أحد الصور التي أحتضنت هذا الملحظ الإسلوبي لدلالات معينة .قال تعالى:((سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ))(المعارج:١)فالعدول عن أن يقول:سُئِل بعذاب إلى قوله : سأل سائل بعذاب ،لزيادة تصوير هذا السؤال العجيب (٤٧)وإفادة في تأكيد المسؤول عنه وهو العذاب الذي طلبه السائل.ومثل ذلك قوله تعالى:((كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ،إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ،فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ،عَنِ الْمُجْرِمِينَ،مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ،قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ، حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ، فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)) (المدثر:٣٨، ٤٨) فالعدول في السؤال من الغيبة (يتساءلون) إلى المخاطب (ماسلككم) لايخلو من قصد في التوجيه والدلالة .

قال الرازي : ((إنّ أصحاب اليمين يسأل بعضهم بعضاً عن أحوال المجرمين ، فإن قيل : فعلى هذا الوجه كان يجب أن يقولوا : ما سلكهم في سقر)) (٤٨) قلنا : أجاب صاحب «الكشاف» عنه فقال : المراد من هذا أن المسؤولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين ، فيقولون قلنا لهم : ما سلككم في سقر وفيه وجه آخر ، وهو أن يكون المراد أن أصحاب اليمين كانوا يتساءلون عن المجرمين أين هم؟ فلما رأوهم قالوا لهم : ما سلككم في سقر والإضمارات كثيرة في القرآن (٤٩) وعلى هذا فالمسؤول محذوف أعني المجرمين والتقدير يتساءلون المجرمين عنهم أي يسألون المجرمين عن أحوالهم فغير إلى ما في

النظم الجليل وقيل يتساءلون .(٥٠) ، ولا أعتقد أن العدول من الغيبة إلى المخاطب يخالف ما جاء عليه القرآن، في إسلوبه وبيانه وإنما حملهم على ذلك الولع بالتأويل ،فالقول بالتوبيخ واللوم على جهة المخاطب أولى وأكثر إحرازا للأثر من السير على نسق الغيبة ، لذا قال ماسلككم ولم يقل ماسلكهم ، والله أعلم .

ـ المشاركة : وهو معنى يقوم على فعل يشترك فيه أكثر من شخص على وجه التحقق أو الإنجاز أو التساؤل أو غير ذلك . درج الصرفيون على إعطائه معنى لصيغة (تفاعل)، وهو وزن كثيرا ماجاءت مادة (سأل) عليه ،من ذلك قوله تعالى : ((فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ)) (القصص :٦٦) وقوله تعالى : ((وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ)) (الصافات :٢٧) ، وقوله تعالى : ((وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ)) (الطور :٢٥) ، وغيرها من الآيات المكية . أما عدم تساؤلهم في القصص،فلأنّ الأنباء صارت كالعمى عليهم .. فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضاً كما يتساءل الناس في المشكلات لأنهم يتساوون جميعاً في عمي الأنباء عليهم والعجز عن الجواب ،(٥١) وأما إقبال بعضهم على بعض في الصافات فالمراد منه :((الرؤساء والأتباع ، يسأل بعضهم بعضاً ، وهذا التساؤل عبارة عن التخاصم وهو سؤال التبكيت يقولون غررتمونا ، ويقول : أولئك لم قبلتم منا ، وبالجملة فليس ذلك تساؤل المستفهمين ، بل هو تساؤل التوبيخ واللوم)) (٥٢).

وفي الطور فإن : تساؤلهم عن سبب ما وصلوا إليه ؟ فيقولون خشية الله كنا نخاف الله (فَمَنَّ الله عَلَيْنَا ووقانا عَذَابَ السموم)، إذ يسأل بعضهم بعضاً في الجنة عن حاله ، وما كان فيه من تعب الدنيا وخوف العاقبة ، فيحمدون الله الذي أذهب عنهم الحزن والخوف والهمّ ، وما كانوا فيه من الكد ، والنكد بطلب المعاش ، وتحصيل ما لا بدّ منه من الرّزق . وقيل : يقول بعضهم لبعض : بم صرتم في هذه المنزلة الرفيعة؟ وقيل : إن التساؤل بينهم عند البعث من القبور . والأوّل أولى ، لدلالة السياق على أنهم قد صاروا في الجنة ، وجملة { قَالُواْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِى أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ } مستأنفة جواب سؤال مقدّر،كأنه قيل:ماذا قال بعضهم لبعض عند التساؤل؟ فقيل: قالوا إنا كنا قبل ،أي :قبل الآخرة ،وذلك في الدنيا في أهلنا خائفين وجلين من عذاب الله ،أو كنا خائفين من عصيان الله(فَمَنَّ الله عَلَيْنَا) بالمغفرة والرحمة،أو بالتوفيق لطاعته(ووقانا عَذَابَ السموم) يعني : عذاب جهنم (٥٣)،وهي معان تقوم على المشاركة في تكثيف السؤال عن الحال أو المآل بشكل كبير.

ـ التضمين : هو ((أن يحمل اللفظ معنى غير الذي يستحقه بغير آلة ظاهرة الكليات)) (٥٤) ، ورد إستعماله في فنون اللغة ،بوصفه مظهرا من مظاهر الأتساع في العربية وتعبيرا عن جمالها البياني فهو بحق ((فَنٌّ رَفِيعٌ من فنون الإيجاز في البيان)) (٥٥) .لم يخلو السؤال في الخطاب المكي من هذا الفن الرفيع فقد ضمنه التعبير القرآني ، في قوله تعالى : ((لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ)) (ص:٢٤) ، فالسؤال هنا تضمن معنى الإضافة والضم قال المفسرون:((والإضافة في قوله : (بسؤال نعجتِكَ) للتعريف ، أي هذا السؤال الخاص المتعلق بنعجة معروفة ، أي هذا السؤال بحذافيره مشتمل على ظلم ، وإضافة سؤال من إضافة المصدر إلى مفعوله . وتعليق (إلى نعاجه) ب«سؤال» تعليق على وجه تضمين «سؤال» معنى الضم ، كأنه قيل : بطلب ضم نعجتك إلى نعاجه .)) (٥٦) ، إذ لايمكن هنا أن يحمل السؤال على معناه الحقيقي ، بقرينة كيف يكون السائل ظالما ؟ ،لذا لابد من تضمينه معنى الضم أو الإضافة كما صرح المفسرون . وغير بعيد أن يكون معنى السؤال هو الضم والزيادة ، فالسؤال في المعرفة يعني الإفادة من علم الآخر والإستزادة مما يستفسر عنه ، والسؤال في الحاجة يعني إستعطاف القلوب لما يرجى نيله وكرمه أي الحصول لما يمكن أن يضاف إليه .

خاتمة البحث ونتائجه

*لم يختزن السؤال حدود الفكر البشري ،على نمط الترف الذهني ،والولع بالجدل فحسب، بل هو في هيأته الكلية حقيقة فطرية تحرك الإنسان صوب البحث عن المجهول ،أيا كان هذا الإنسان ، وأيا كان حقله المعرفي ، أما وروده في أغراض التعنت وإفحام الخصم فهو حال عارضة لها دوافعها ومبرراتها التي تزول بزوال المؤثر .

* لايمكن القول بترادف السؤال والاستفهام والاستفتاء ، فلكل منها فضاءاته وموارده ، إذ

أثبت البحث إتساع مفهوم السؤال وشمولية المتسائل عنه مقارنة بالاستفهام والاستفتاء .
* تنوع أشكال السؤال في الخطاب المكي سواء أكان بالمادة أم الأداة ،أفرز بجلاء دهشة العقل المكي وحيرته من الوافد القرآني المتعلق بيوم القيامة ، وقوعها ، زمانا ومكانا ،وكيفية حدوثها ، وآثارها ،والمتعلق أيضا بالخالق سبحانه ، أو الهداية أو البعث .
* أثبت البحث دوافع تلك التساؤلات وحقيقتها في أذهانهم ، كولعهم بالزمن ووقائعه ، حركَّهم في أكثر من موضع إثارة موعد البعث ومعرفة وقوعه ، وكذلك إقرارهم الفطري بوجود الله ،جعل منهم يعترفون بخالقيته ورازقيته على الرغم من الجحود الظاهر.
* إكتناز التساؤل في الخطاب المكي،أظهر خصائص دقيقة تنسجم مع تفكيرهم في تلك المرحلة كالإضمار الذي شكّل حضورا في جملة من التساؤلات لدلالات ترتبط بالتحقير والتوبيخ والاستغراب
فلم يصرح التعبير القرآني بالسائلين في ذلك الخطاب ، تنكيلا وإستهجانا بمقامهم وازدراءً بما يسألون عنه .
*توالد التكرار في أسئلتهم بما يتعلق بيوم الدين أو قيام الساعة أ و البعث ، هو محاولة لإشباع الفراغ العقلي الذي يعانونه ،فلم تكن مفاهيم اليوم الآخر والجنة والنار راسخة في أذهانهم إن كان لهم معرفة بها ، لذا إستطالوا بمد أعناقهم في عرض تلك التساؤلات المقلقة لهم .

*انبثاق العدول والمشاركة والتضمين من السؤال المكي ، يعني إكتناز التعبير القرآني بحمولة معرفية دلالية غايتها التأثير في السامع ، وشده إلى ماهو محرك لدواخله ،فبالعدول يلفت الانتباه إلى ماقد خرق في التعبير ، والمشاركة ،سعة مساحة السائل أي قلق العقل الجمعي مما هو مخفي ومبهم ، والتضمين هو امتداد دلالي آخر يستبطن إنشطار المادة (السؤال) ، وإنفتاحه على طاقة جديدة أخرى كامنة فيه .

الهوامش
(١) ينظر: أساس البلاغة :٢٠٦/١ مادة (سأل)
(٢) المفردات :٤١٦/١
(٣) التعريفات : ٤٠
(٤) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢ ٢/١ ٦
(٥) م.ن: ٢/٢ ، وينظر : بحار الأنوار :٢٣٨/٤٠.
(٦) مناهج التفسير الموضوعي :١٠٦.
(٧) تهذيب اللغة : ٢٤/٥ ، وينظر : المفردات :٦٢٥.
(٨) التعريفات : ٦/١
(٩) المعجم الوسيط :٣٢٣/٢ .
(١٠) البرهان في علوم القرآن: ١٨٧/١، ١٨٩ ، وينظر: مفهوم النص :١٠٨
(١١) التحرير والتنوير : ٢٤/١١
(١٢)مناهج التفسير الموضوعي :١١٩.
(١٣) تفسير من وحي القرآن: ٨٠/١٨
(١٤) كلام الله ،الجانب الشفاهي من الظاهرة القرآنية:١٣٣.
(١٥) مشاهد القيامة :٤٣ ،٤٤
(١٦) لسان العرب :١٦٢/١ ، مادة (نبأ) .
(١٧) المفردات : ٤٠٢
(١٨) التحرير والتنوير: ٢٦/١٦
(١٩) التحرير والتنوير : ٢٦/١٦.
(٢٠) البحر المحيط : ٢٧٧/٨
(٢١) روح المعاني : ٧٩/٢٢
(٢٢) في ظلال القرآن : ٤٣٢/٧
(٢٣) مناهج التفسير الموضوعي :١١٣
(٢٤) في ظلال القرآن : ٤٣٠/٧
(٢٥) الزمان الدلالي :٢٩.
(٢٦) تفسير الطبري:٢٢/ ،٤٠١، والجامع لأحكام القرآن:٣٣/١٧ ،وينظر:التحرير والتنوير :٤٣٧/١٥
(٢٧) التفسير الكبير: ٢١٠/٩
(٢٨) التحرير والتنوير:٤٣٨/١٥، ٤٣٩.
(٢٩) الظاهرة الجمالية في القرآن : ٧٢ ، وينظر: مشاهد القيامة :٤٣ ،٤٤
(٣٠)التفسير الكبير: ٧٠/١٠، وينظر : تفسير أبي السعود :٢٠٢/٤
(٣١) في ظلال القرآن : ٢٦/٥، ٢٧
(٣٢) المفردات : ٤٧٨
(٣٣)التفسير الكبير:٣٢٩/١٦
(٣٤) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٢٤ / ٣٧.
(٣٥) تفسير من وحي القرآن :١٧ / ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣.
(٣٦)التعبير القرآني :١٢
(٣٧) التعريفات : ٨
(٣٨) فقه اللغة وسر العربية: ٧٨/١
(٣٩) روح المعاني :٧٩/٢٢
* ومثله ،
ينظر:العنكبوت:٦٣،لقمان:٢٥،الزمر:٣٨،الزخرف:٩، ٨٧.
* ينظر :البقرة :٢١
(٤٠) الجامع لأحكام القرآن :٢٢٦/١
(٤١) التعريفات :٢١
(٤٢) إعجاز القرآن : عبد الكريم الخطيب : ٣٧٣
(٤٣) التحرير والتنوير: ٣٢/٦
(٤٤) م.ن: ٨٨/١٦

(٤٥) أساس البلاغة : ٦١٧ ، وينظر : لسان العرب :٤٣٢/١١
(٤٦) البلاغة والأسلوبية :٢٧٧.
(٤٧) التحرير والتنوير: ٣٠٥/١٥
(٤٨)التفسير الكبير:١٦/ ١٦٩
(٤٩) البحر المحيط : ١٠/ ٣٨٨
(٥٠) روح المعاني :٤٤٠/٢١
(٥١) الكشـــــاف : ١٦٧/٥
(٥٢)التفسير الكبير: ١٢٠/١٣
(٥٣) فتح القدير : ٥٨/٧.
(٥٤) الكليات :٤٠٤
(٥٥) البلاغة العربية أسسها وعلومها : ٤٩٩.
(٥٦)تفسير أبي السعود : ٤٧١/٥ ، وينظر :التحرير والتنوير :٢١٠/٢ ، وينظر:الميزان :٩٨/١٧، وينظر : تفسير من وحي القرآن :١٩ /٢٤٦.

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم
* أساس البلاغة :الإمام الكبير جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري /دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان /الطبعة الأولى ١٤٢٢-٢٠٠١م
*إعجاز القرآن ـ دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، عبد الكريم الخطيب ،دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٩٦٤.
* بحار الأنوار ،محمد باقر المجلسي ، طهران ،د،ت .
* البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، مطبعة النصر الحديثة ،الرياض ، د. ت .
* البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تعليق ، مصطفى عبد القادر عطا ،دار السكيت العلمية ،بيروت لبنان ،ط١، ١٤٠٨.
* البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، ط٣، مصر ،٢٠٠٩.
* البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن الميداني ، مكة ،ط١، ١٤١٤. *
* التعبير القرآني ، فاضل السامرائي ،بيت الحكمة ، بغداد ،١٩٨٦.
* التعريفات ، الشريف الجرجاني ، تحقيق ، إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١، ١٤٢٣.
* تفسير أبي السعود وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،أبو السعود وضع حواشيه ،عبد اللطيف عبد الرحمن،منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية بيروت ،ط١، ١٤١٩.
*تفسير التحرير والتنوير ، الطاهر أبن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ،١٩٨٤.
* تفسير روح المعاني ، الآلوسي ،تحقيق محمد أحمد الأمد ، وعمر السلامي ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،١٤٢١.
*تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن،محمد بن جرير الطبري ، دار القلم دمشق ، ط١، ١٤١٨.
* تفسير فتح القدير ، الشوكاني ، ضبطه ، أحمد عبد السلام ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،١٤١٥.
* التفسير الكبير أو مفاتح الغيب/ فخر الدين الرازي – المكتبة العلمية – طهران .د.ت.
*تفسير من وحي القرآن ، محمد حسين فضل الله ،بيروت ، دار الزهراء ، ،ط٣ ،د.ت .
* تهذيب اللغة، الأزهري،ت، عمر السلامي وعبد الكريم حامد،دار إحياء التراث العربي،بيروت ،ط١، ١٤٢١
* الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ، دار الكتاب العربي ،القاهرة ، ١٩٦٧.
* الزمان الدلالي دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية،كريم زكي حسام الدين ، القاهرة ،دار غريب للطباعة ، ط٢، ٢٠٠٧.
* الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ، نذير حمدان ، دار المنايره ، السعودية ،ط١، ١٤١٢.
* فقه اللغة وسر العربية ، الثعالبي ،تحقيق ، مجدي فتحي السيد ،المكتبة التوفيقية القاهرة . *في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،ط٧ ،١٤٠٦.
*الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري ،دار الكتاب العربي ،بيروت لبنان ،د.ت. *
* كلام الله، الجانب الشفاهي من الظاهرة القرآنية ،د، محمد كريم الكواز ،دار الساقي ، بيروت ،ط١ ٢٠٠٢.
* الكليات،أبو البقاء الكفوي ،ت،عدنان الدرويش،ود،محمد المصري،مؤسسة الرسالة ،ط٢ ، ١٤١٩.
* لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٧.
* مشاهد القيامة في القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق القاهرة ،د.ت .
* المعجم الوسيط ، د، إبراهيم أنيس ، عبد الحليم منتصر ، عطية الصوالحي ، محمد خلف الله الأحمر ، القاهرة ،ط٢ ، ١٣٩٢
* مفردات ألفاظ القران:للعلامة راغب الأصفهاني /تحقيق:صفوان عدنان داودي ،دار القلم دمشق /الطبعة الأولى ١٤١٦_١٩٩٦م
* مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن ،د. نصر حامد أبو زيد ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،ط٤ ، ١٩٨٨.
* مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي ، أحمد بن عثمان رحماني ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط١ ١٤٢٩.
* الميزان في تفسير القرآن / محمد حسين الطباطبائي ،مؤسسة الاعلمي ،،بيروت ،ط٣ ،١٩٧٧ .
* منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، حبيب الله الهاشمي الخوئي، طهران ،ط٤، ١٤٠٥.